الفصل الثالث

دور المكتبات العامة فى تعليم الكبار

العبء الأكبر من واجبات المكتبة العامة يتجه نحو تعليم الكبار ولانقصد بتعليم الكبار تعليمهم الكتابة والقراءة كمبتدئين وإنما نقصد رعاية رغبة القارىء فى أن يتعلم مادة جديدة عليه أو يقرأ لمجرد المحافظة على مقدرته على القراءة التى اكتبسها حديثا. إذن فدور المكتبة ليس قاصراً على أن تتولى نقل الأفراد من الأمية إلى معرفة القراءة والكتابة إذ ليست هذه الوظيفة أصلا من اختصاص المكتبة العامة فإنها لاتعلم الأفراد القراءة والكتابة بل تترك ذلك للمدارس ولمعاهد مكافحة الأمية. وإنما تبدأ أقل مستوياتها بحديثى التعلم حين يأتيها هؤلاء الأفراد وقد تعلموا القراءة والكتابة فعلا، وهم المكتبة هو ألا يفقدوا هذه المهارة الجديدة. ثم تتدرج المستويات فى الارتفاع فنجد أن هناك وسائل تعليم كبار ليس همها فقط هو حديثى التعلم بل إن عبارة «تعليم كبار» يدخل فيها أيضا التثقيف أو التعليم الذاتى لكل ناضج أو مكتمل النمو أيا كانت دراسته السابقة.

وعلى ذلك نصادف الأنواع التالية من نشاط تعليم الكبار التى تشارك فيها المكتبة العامة:

١ ـ مكافحة الأمية Literacy campaigns :

ودور المكتبة هنا يبدأ بمجرد تعلم الأفراد القراءة فتقدم مواد القراءة إليهم وهذا يتصل اتصالا وثيقا بعمليات التوسع المكتبى عن طرق تدبير «كتب المتابعة» لحديثى التعلم.

٢ ـ التعليم الأساسى Fundamental education :

وهو أرقى من مجرد مكافحة الأمية. هو توجيه للمقدرة على القراءة نحو قراءات نافعة ـ مثلا القراءات المهنية فى مجتمع زراعى نوجهها نحو تحسين الحاصلات، وتربية الدواجن، والصناعات الزراعية. نوجه القارىء خلال قراءاته نحو رفع مستوى حياته كأن يقرأ عن قواعد الصحة العامة، أو عن دوره كمواطن صالح.. وهكذا. وفى هذه المرحلة يمكن أن تبدأ محطات الكتب أو سيارات الكتب، أو على الأقل ترسل صناديق الكتب إلى «نقط التوزيع» كمحطات الإيداع.

٣ ـ بعد ذلك تأتى مرحلة أرقى فى تعليم الكبار وهى مساعدة الأشخاص خلال دراسات منظمة لاستكمال المجالات التى لم تتح لهم فرصة استكمالها من قبل، كأن يتعلم الأفراد مادة جديدة أو فنا جديداً عليهم بصرف النظر عن مستوياتهم التعليمية أو مؤهلاتهم العلمية السابقة لهذه الدراسة. وهذا هو ما نشاهده فى مؤسسات الثقافة الشعبية (أو الجامعات الشعبية) People's University or varsity وفى المعاهد التى تقابل هذه المؤسسات فى دول أخرى والتى تعرف باسم: Folk Academy

٤ ـ ننتقل بعد ذلك إلى نوع رابع وهو الدراسات الحرة تحت اشراف الجامعات University extension service. وهو أن تنظم الجامعة دراسات

للكبار الراغبين فى التعلم خلال برامج أكثر مرونة من الالتحاق العادى الذى تحده شروط القيد والامتحانات... الخ ـ ومثل ذلك أنظمة الاستماع والانتساب وسلاسل المحاضرات العامة والخاصة. والمكتبة العامة تلعب هنا دورا هاما جداً لأنها تتابع هذا النشاط وتمد الأشخاص الذين يتلقون هذه الدراسات بالكتب اللازمة وفقا لبرامج الدراسة ووفقا للموضوعات التى يتعرضون لها.

٥ ـ ويمكن أن نضيف إلى تعليم الكبار نوعا جديدا وهو الدراسات التدريبية In - Service Training Courses أو التزويدية (وهى أقل فى مستواها من سابقتها) والنوعان التدريبى والتزويدى هدفهما الأساسى مهنى إذ يوجه إليهما المشتغل بعمل من الأعمال لكى يكتسب خبرات مهنية جديدة فى مجال تخصصه (كما فى الدراسات التدريبية)، أو لكى نزيد من مداركه ومعلوماته فى مجالات قدلا تبدو صلتها المباشرة باحتياجاته المهنية ولكنها تتصل بثقافته كفرد، ومن ثم بإمكانيات أدائه لعمله على مستوى أصلح (كما فى الدراسات التزويدية Initiation Courses أو Or-ientation Courses).

* عصر السلبية المطلقة للمكتبة العامة

نشطت جهود تعليم الكبار قبيل بداية القرن العشرين وكان على المكتبة العامة لكى تواجه النمو المطرد لحاجة القراء إلى الكتب (وخاصة فى المجتمعات الصناعية) أن تستجيب لكل ما يطلبه هؤلاء القراء حديثى التعلم وهم مازالوا فى أقل مستويات التعليم، ولم يكن ما يطلبونه هو خير أو أصلح مايمكن أن يقرأ فلم تكن المكتبة تعنى كثيرا فى ذلك الوقت

باختيار الكتب فى مستويات بالذات، وإنما كانت استجابتها لما يطلبه الجمهور وفقط مايطلبه الجمهور سبباً فيا اعتقده البعض من أن المكتبة العامة «مكان لقراءة القصص مجاناً» وذلك لأن الجمهور كان فعلا يركز معظم مطالبه فى القصص، فكانت المكتبة تستجيب لهذا. وكانت هذه العبارة هى ما يعيرون به المكتبة العامة.

تسبب عن هذه الاستجابة لاحتياجات الجمهور كثرة الكتب التى يقبل عليها أفراد كثيرون فى وقت ما فتكرر المكتبة نسخ هذه الكتب ثم يحدث أن تنتهى أو تقل رغبة القراء فى الاطلاع عليها وذلك بعد سنة أو اثنتين مثلا فنجد المكتبة وقد امتلأت بنسخ مكررة يندر أن تطلب بعد ذلك. اذن فمسايرة مطالب الجمهور فى تكرار النسخ وفى إمدادهم بما يطلبونه من مطبوعات بدون النظر إلى القيمة العلمية أو التعليمية لهذه المطبوعات... كان نوعاً من السلبية يجب ألاتقف عنده المكتبة إذ أنها لاتقوم فى هذه الحالة بدور إيجابى توجيهى للمترددين عليها.

كانت العوامل التى توجه نمو مجموعات الكتب فى المكتبة العامة مبنية على احتياجات هذه الفئات الجديدة من القراء المبتدئين. كان المبدأ السائد هو أن المكتبة إنما وجدت **لإرضاء حاجات القراءة عند كل مواطن** أى أن القوة الموجهة للمكتبة تأتى من خارج المكتبة، تأتى من الجمهور نفسه إذ لم تكن فكرة تعليم أى فئة بالذات من المجتمع خلال قراءات تشرف عليها المكتبة وتوجهها ـ لم تكن هذه الفكرة قد وجدت بعد ـ فكرة أن تخلق المكتبة جمهور قرائها ليقرأوا ما تريد أن تحملهم على قراءته.

فى ذلك الوقت كان نجاح المكتبات يقاس بمعايير عددية. ماهو المجموع النهائى للاستعارات التى تتم فى المكتبة؟ كم كتاباً فى اليوم وكم متردداً على المكتبة دون النظر إلى الموضوعات المقروءة. وبذلك أفسدت المكتبات على نفسها سبيل الوصول إلى الغاية التعليمية التى كانت سبباً فى إنشائها فى بادىء الأمر. كانت الإحصاءات العامة غير المخصصة أو المفصلة هى كل مايشغل بال مديرى المكتبات. فإن اختار الجمهور مطالعاته من كتب فى مستوى بسيط أو تافه أو ضعيف الأثر من الناحية التعليمية فإن ذلك لم يكن ليشغل بال أمين المكتبة فى كثير أو قليل. كان على المكتبة أن تمدهم بما يريدون وبسرعة. كان هم المكتبة أن يقرأ الكتاب فى الوقت الذى مازال فيه الجميع يتحدثون عنه. ولعل الدافع إلى ذلك رغبة المكتبة فى كسب أكبر عدد من الأصوات فكان ذلك انعكاساً مباشراً للتشريعات المكتبية فى ذلك الوقت الذى بدأت فيه تفرض ضريبة لصالح المكتبة العامة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

كان على المكتبة أن تقنع أكبر نسبة من الجمهور القارىء بأن مايدفعه يرد إليه على شكل كتب يرغبها أفراده. ولكن سرعان ماوجدت المكتبة أن الأجيال المتعاقبة كل منها أكثر ثقافة من سابقه وأن كلا منها على استعداد لتقبل نوع من القراءة أصلح من سابقه. وحيال هذا التكوين البطىء للقدرة على النقد والقدرة على التقييم من جانب الأفراد لما يقرأون وجدت المكتبة نفسها بمجموعاتها القديمة المكررة غير المطلوبة قد بدأت تفقد مكانتها واحترامها فى نظر الجمهور

العام. كان عليها أن تعدل من نظرتها إلى رسالتها فهى ليست موجودة فقط لإرضاء جمهور اليوم ليغضب عليها جمهور الغد، أو لكى تفقد قيمة الجزء الأكبر من محتوياتها بعد سنوات قليلة لأنها كانت قيماً مؤقتة غير ثابتة.

* بداية الجهود الإيجابية

بدأت المكتبات تناقش عنصرى عملية القراءة: الكتاب المقروء والجمهور القارىء، ومن هنا نجد أن الجهود الإيجابية الأولى تركزت فى دراسة أو استخلاص معايير لاختيار الكتب من جهة، ودراسة ميول القراء ومقدرتهم على القراءة من جهة أخرى.

أولا - معايير لاختيار الكتب

حين نتحدث اليوم عن الحياد الفكرى Intellectual neutrality فإنما نعنى به ألا تتخذ المكتبة موقفاً بالذات أو جانبا بالذات بين الآراء المتعارضة فى موضوع جدلى أو شائك. أى ألا تتحيز المكتبة لجانب دون آخر بل تمثل فى مجموعاتها وجهات النظر المتعارضة بقدر الإمكان. ولكن لم يكن هذا التعبير فيما مضى يعنى دائما نفس الشئ. فقد كان بعض أمناء المكتبات يصفون سلبيتهم وعجزهم بأنهما حياد فكرى وبذلك تركوا مجموعات مكتباتهم تتحكم فى نموها رغبات الجماهير، وكأنما المكتبة ليست مؤسسة هادفة تهتم بالنتائج الاجتماعية أو الاقتصادية لتوجيه أو لتطوير وعى الأفراد فى اتجاهات بالذات ولذلك كان لابد من أن يأتى الوقت الذى يتساءل فيه المكتبيون: «هل تأخذ المكتبة على عاتقها أن توجه قراءها لنواح بالذات من المعرفة، أم هل تكتفى بإمدادهم بما

يحتاجون هم إليه بدون النظر إلى نوع الكتب ومستواها؟ أى هل تعطيهم ما يطلبون أم تعطيهم ما ينقصهم».

وجدت المكتبات أن عليها أن تجيب عن هذا السؤال وهو «هل تفرض نوعا من الرقابة على المطبوعات؟ وما حدود هذه الرقابة؟» هل تمنع المكتبة اقتناء بعض الكتب وتداولها على أساس أن محتوياتها لا تتفق مع العرف سواء كان أخلاقياً أو سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا؟ هل تكتفى بمقياس العرف السائد فى الموضوعات الجدلية فتأخذ بذلك جانبا واحدا من جوانب أى من هذه الموضوعات، فتمثل ناحية واحدة من المجتمع (ولو كانت أغلبية). أم تأخذ معاً كل الجوانب؟.

بعض المشتغلين بالمكتبات يعتقدون أن فكرة المنع أو التحريم فى اقتناء كتاب أو تداوله إنما نمثل وجهة نظر ضيقة بدليل أن كثيراً من الموضوعات التى كانت تعتبر موضوعات جدلية تثير آراء متعارضة لم تعد تثير أى جدل لأنها أصبحت مسلماً بها وأصبحت ملكا للتاريخ. إذن فالمكتبة عليها ألا تضطهد اليوم كتابا تفتقده فى الغد. لأنه سوف يمثل فى المستقبل حلقة من تاريخ فكرة.

إذن فالتطبيق السليم لفكرة الحياد الفكرى هو اتزان المكتبة بين وجهات النظر المختلفة بحيث تمثلها جميعا فى مجموعاتها. والمكتبة إن شكت فى تأثير بعض كتبها على القارئ وخاصة القارىء صغير السن أو محدود الثقافة فإنه يمكنها رغم اقتنائها لهذا الكتاب أن تمنع عرضه على رفوف مفتوحة أو ذكره فى قوائم قراءات منشورة. وحين يطلبه القارىء يكون الجوانب باستمرار هو أن الكتاب مستعار، وذلك لحمايته من الكتب التى

نتوقع أن يكون لها تأثير سيئ عليه. ومثل هذه الرقابة جزء من المهمة التعليمية للمكتبة العامة. ولكن هل أمين المكتبة هو دائما أصلح من يقوم بهذه الرقابة؟ هل هو أصلح من يستنتج أن الكتاب ضار أو غير ضار؟ هذا السؤال قد لا تتيسر الإجابة عنه بسهولة وخاصة إذا كان المستوى الثقافى للمشتغلين بالمكتبات يتفاوت تفاوتا مخلا فيما بينهم.

ثانيا ـ دراسة ميول القراء

نرى فى تقارير المكتبات منذ بداية القرن العشرين تدرجا يزداد فيه التوكيد عاما بعد عام بأن قراءة الكتب من غير القصص تتزايد، مع تفصيل المجالات أحيانا التى تقع فيها محتويات تلك الكتب.

إذن أصبحت الإحصائيات أكثر تفصيلا وأكثر رغبة فى إثبات القيمة العلمية والتعليمية لما يقرأ. بدأنا نرى قراءات فى مجالات علم النفس والاقتصاد والسياسة والفنون الجميلة والتاريخ.. وهكذا.

بدأت المكتبة تستشف الدوافع التى يمكن أن توجه القارىء إلى طلب المعرفة. ونتج عن محاولاتها لتفهم القارىء دراسات تحاول أن تجيب بشئ من الدقة عن أمثال هذه الأسئلة: ماذا يقرأ الناس؟ وكيف يقرأون حين يتركون لدوافعهم الذاتية، وما هى النسب بين ما يقرأونه فى موضوعات مهنية وما يقرأونه فى موضوعات هوايتهم!... إلخ.

كانت طريقة الإحصاء فى بادىء الأمر فجة إلى حد ما فكان الباحث يتناول سجلات الاستعارة لبعض القراء ويعامل هذه السجلات على أنها عينات غير مختارة لتطور مطالعات رواد المكتبة. ثم يحاول أن يصل من دراسة هذه السجلات إلى استنتاجات عن ميول الفرد. ثم يعمم هذه

الاستنتاجات على ميول مجموعات أو فئات داخلة فى تكوين المجتمع. كان أمناء المكتبات ممن يقومون بهذا النوع من دراسة الحالات case study يرون فى كل حالة مثالا يلقى ضوءاً على فرد بالذات يحاول أن يصلح نفسه فى محيط مهنته أو يحاول أن يكتسب المعرفة بمهنة أرقى عن طريق تعليم نفسه بنفسه، (وفى كلتا الحالتين تعتبر قراءاته مهنية)، أو على فرد يحاول أن ينمى هواية، أو أن يثقف نفسه، أو يهذب سلوكه الاجتماعى، أو يحاول أن يهرب من الواقع خلال قراءة كتب خيالية كالقصص أو المسرحيات أو الشعر أو غيره من الإنتاج الأدبى.

ورغم أن هذا النوع من الدراسات الإحصائية الذى يعتمد على متابعة عدد من «الحالات» الفردية ثم يستطرد منها إلى استخلاص أحكام عامة ـ رغم أنه تعوزه الدقة فى كثير من الأحيان، إلا أننا نصادف فيه أمثلة منفصلة أو منفردة تبعث على التفاؤل لأنه مع البدء بمواد متوسطة القيمة أخذ القارىء يتدرج فى مستويات قراءته وفى مجالات ميوله نحو غايات أكثر جدية، أصبحت قراءاته هادفة وقد تكون مثمرة. أى أن تعليم نفسه خلال المكتبة العامة ربما حقق أثراً ثابتا فى تكوينه الفكرى.

ولكن مثل هذه الطريقة ما كان يتيسر للمكتبة أن تعتمد عليها باستمرار. فعينات القراء التى تدرس بهذه الطريقة رغم أنها عينات غير مختارة، إلا أنها قد تمثل فعلا قطاعا فى المجتمع أو لاتمثل، أى أنها قد تعطى فكرة سليمة عن فئات المجتمع وقد لا تعطى. إذن فهذا اختيار اعتباطى لميول القراء لأن وقت المكتبة لم يكن يسمح باختيار أكثر من عينات قليلة. وعلى ذلك كان على المكتبة أن تتخلى عن هذه الطريقة ولعل السبب الأول فى تخليها عنها هو ضيق وقت المكتبات وأمناء

المكتبات وقلة عددهم بحيث لايمكن حفظ سجلات كاملة بكل مايقرؤه كل فرد بانتظام. فإن احتفظت بمثل هذه السجلات فلن تتمكن من دراسة جميع الحالات.

ثالثا ـ الرفوف المفتوحة ومعارض الكتب

لم يكن مجرد وضع قواعد لاختيار الكتب بقصد الارتقاء بالمستوى العام لمجموعات المكتبة هو المجهود الإيجابى المثالى نحو مشاركة المكتبة مشاركة فعالة فى حركة تعليم الكبار. وكذلك لم تكن إحصائيات الاستعارة (التى تطورت من إحصائيات عامة غير متميزة إلى إحصائيات منفصلة) ـ لم تكن لتكفى لتحقيق هذه الإيجابية. وكذلك لم تكف دراسة ميول القراء كأفراد مع حصر ظروف كل فرد من حيث السن والتعليم والمهنة... إلخ. ولم يكن بد إذن من إيجاد وسيلة فعالة ومباشرة تسهل على المكتبة تعليم الكبار.

وبدلاً من أن تنتظر المكتبة الرغبة من القارىء حين يجئ من تلقاء نفسه بدأت تفكر فى الجمع بينه وبين الكتب. بدأت تستثير هذه الرغبة وتنميها. لم تعد المكتبة تحول بين القارىء وبين الكتب بحيث يختار مايريد أن يقرأه من مجرد النظر إلى بطاقة فهرس تمثل الكتاب بدلا من أن يرى الكتاب نفسه ـ بل بدأت المكتبة تضع كتبها على رفوف مفتوحة قريباً من متناول القارىء بحيث يمكنه أن يراها ويتصفحها فيكتشف بذلك ميوله الراكدة الراسبة فى أعماق نفسه والتى لم يكن يعلم بوجودها من قبل. لم يعد القارىء ملزماً بترجمة رموز بطاقة الفهرس إلى معانيها الأصلية بحيث تتمثل أمامه صورة الكتاب الأصلية الذى صيغت منه

هذه البطاقة، فإن كانت الفهرسة رديئة أصبحت البطاقات غير مجدية وأصبح الاطلاع على الكتب نفسها ضروريا قبل اختيار القارىء من بينها.

كانت الرفوف المفتوحة خطوة إيجابية جديدة من جانب المكتبة نحو اجتذاب القارىء ولكنها مع ذلك خطوة صغيرة. فنحن نلاحظ فيما يتعلق بالرفوف المفتوحة أن أى مجموعة من الكتب ولو كانت تمثل انتاجاً عقلياً ممتازاً يمكن أن يكون لها تأثير سيىء على القارىء لو أنها كانت كتباً ممزقة قذرة. إذن ففى حالة الرفوف المفتوحة لابد من العناية بالمظهر الخارجى للكتاب لأنه من الممكن أن ينفر القارىء من الكتب الممزقة ويميل إلى الكتب التى يجتذبه تجليدها أو تجتذبه صورها ولو كانت ذات فائدة أقل. لابد من أن نعطى الكتب فرصاً متقاربة فى اجتذاب القارىء فنحافظ على سلامة المجموعات كما نخصص جزءاً من ميزانية المكتبة نفسها لاستبدال نسخ قديمة بأخرى جديدة ـ هذا فيما عدا مخصصات شراء الكتب الجديدة نفسها.

بهذا نكون قد انتقلنا إلى الحديث عن الناحية الجمالية Aesthetic للكتب ـ انتقلنا إلى تأثير الشكل على العاطفة. وهذا هو العامل الأساسى فى إقامة المكتبة لمعارض الكتب. فحتى على فرض أن مجموعات الكتب بها تضمها مخازن مقفلة، فإن المعارض يمكن استخدامها لتوجيه أنظار القراء إلى مجموعات بالذات فى موضوعات بالذات وذلك عن طريق عرض بعض الكتب.

قد يكون العرض على مناضد أو فى لوحات العرض الزجاجية. وقد تخصص له ممرات المكتبة أو صالات المكتبة أو تخصص له رفوف صغيرة على المناضد وفى وسط قاعات المطالعة أى أن المعارض متروكة لتصرف أمين المكتبة وذوقه.

والقيمة التى تفوق بها معارض الكتب الرفوف المفتوحة هى أن المعرض يمكنه أن يركز الانتباه على كتب بالذات، كما يمكنه أن يحدث تأثيراً أقوى من مجرد قائمة موضوعية لمطالعات مختارة. ومعرض الكتب يمكن ربطه بقوة المناسبة كأن يقام فى عيد قومى، أو بمناسبة ذكرى شخص ما، أو عن موضوع يتحدث عنه الجميع وبذلك يكون له نفس اجتذاب المناسبة وإثارتها. ومعرض الكتب تأثيره على القارىء تأثير كلى شأنه شأن أى مشهد أو منظر ـ شأنه شأن كل ماهو «معروض». حين ننظر إلى لوحة مثلا فإننا نرى اللوحة كلها مرة واحدة، بعكس أن نقرأ قصة أو قصيدة فإننا نقرؤها سطراً سطراً أو بيتاً بيتاً حتى تتكامل الصورة المقروءة فى أذهاننا بالتدريج. إذن فتأثير الكتب المعروضة تأثير مركز وكلى بعكس الحال عند قراءة قائمة مختارة لأسماء كتب فى موضوع معين.

ورغم هذا كله فإن معارض الكتب ليس لها التأثير الثابت الذى يمكن أن يتركه نص مكتوب يحتفظ به القارىء معه. فالقارىء الذى يرى الكتب فى المعرض قد يهتم وقد لايهتم باستعارة الكتب المعروضة، أو بكتابة أسماء هذه الكتب بنية استعارتها فيما بعد. إذن فهو فى حاجة إلى وسيلة تحفظ له تأثير المعرض، وتذكره بالكتب التى شاهدها فيه وتربطها

بكتب أخرى لم يشاهدها فيه. وسيلة يمكنه أن يحملها معه إلى قارىء آخر وثالث وهكذا... وهذه الوسيلة هى قوائم المطالعات.

رابعا ـ قوائم المطالعات

رأينا أن رفوف الكتب القريبة من متناول القارىء تجعل فى إمكانه أن يخدم نفسه بنفسه، وأن معارض الكتب تلفت نظره لكتب أو لموضوعات بالذات، كما أن القوائم المطبوعة تمكنه من أن يدخل على الأقل نوعاً ضئيلا من الترتيب فى مطالعاته إن أراد مثل هذا الترتيب.

هذه القوائم تطبعها المكتبة وتوزعها على القراء سواء أكانت متصلة بالمعارض التى تقيمها، أم متصلة بمجموعات الكتب نفسها، أم متصلة بمستويات بالذات من القراء وفق ميولهم التى نعرفها. إذن فقوائم الكتب التى تنشرها المكتبة لا لمجرد الإعلان عن مجموعاتها بل بقصد توجيه القارىء فى مستويات بالذات لقراءات بالذات والتدرج به فى هذه القراءات ـ هذه القوائم المدروسة المنظمة التى يقصد بها تعليم القارىء أو مساعدته على أن يعلم نفسه، تمثل تطوراً جديداً أو خطوة هى الأخرى جديدة وأكثر إيجابية من كل ما سبقها من جهود المكتبة نحو تعليم الكبار.

المكتبة هنا تقدم القارىء إلى مادة جديدة عليه ثم تتدرج به فى معرفته بهذه المادة. فإذا أريد لهذه القوائم أن تنجح فى تنظيم برنامج دراسى سليم إذن فلابد لها من أن ترتب أسماء الكتب بها متدرجة فى مستويات صعوبتها وسهولتها وتخصصها... أى أنها لاتجمع لمجرد الجمع، ولا لمجرد استعراض كل أو بعض ما تملكه الكتبة فى الموضوع الذى تدور

حوله. ولابد لها من أن تكون متجددة إذ أن القارىء حين يرى أن القائمة المطبوعة التى يراد بها توجيهه لا تتغير ولا تتجدد فإنها لايمكن أن تثير فيه نفس الرغبة فى القراءة التى أثارتها عند بدء اطلاعه عليها.

هذه القوائم تمثل برنامجاً دراسياً ـ تمثل قراءة موجهة ولذلك لابد من مراعاة عدة اعتبارات عند تجميعها. فأولا لابد للكتب فيها من أن تتقارب من حيث تواريخ نشرها حتى تسهل مقارنة وجهات النظر بها، أى مقارنة طريقة معالجة كتب متعددة لموضوع واحد، وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الجارية التى يهتم بها الجميع فى وقت بالذات.

هناك قوائم يعدها موظفو المكتبة لكى توزع على جمهور المستمعين إلى المحاضرات أو المناقشات، أو لمساعدة نشاط واجتماعات النوادى والهيئات والمؤتمرات. وقد تصحب هذه القوائم معارض كتب مختارة فى نفس الموضوع. وفى هذه المناسبات قد تقام معارض الكتب إما فى داخل المكتبة أو فى خارجها ـ أى فى مقار هذه الهيئات أو أماكن عقد هذه الاجتماعات.

وليست المسألة هى مجرد تجميع لأسماء كتب حول موضوع بعينه بل لابد لهذه الكتب حين تجمع فى قوائم من أن تنجح فى إثارة رغبة القارىء فى أن يقرأ. ولذلك تعطى بعض المكتبات نبذة قصيرة عن كل كتاب تساعد على تكوين فكرة سريعة عن محتوياته أو عن مستواه أو سبب اختياره. وهذا يدل بدوره على أن جامعى قوائم الكتب (قوائم المطالعات المختارة... والموجهة) يعرفون الكتب التى جمعوها، إذن فليست المسألة مجرد تسجيل أسماء مطبوعات من الفهارس أو من الرفوف، وإنما

لابد للمكتبى من أن يعرف كتبه على الأقل حين يختارها كأدوات تعليمية يقترحها على قراء بالذات، أى أن قائمة الكتب عبارة عن رسالة تحاول أن تبلغ شيئاً ما لقراء من نوع ما. الرسالة موضوعها محدد، والقراء مستواهم محدد.

ومع ذلك نجد أن قوائم المطالعات (رغم ما يبذل من جهد فى إعدادها واختبار مستويات المطبوعات التى تجمعها) لاتكفى لكى تعتبر المكتبة أن جهودها لتعليم الكبار وافية بل إن هناك وسائل أكثر إيجابية وأشمل وأسرع. ففى إمكان المكتبة مثلا أن تخصص «مرشدين للقراء». وهذا ينقلنا إلى المظهر التالى من مظاهر النشاط التعليمى للمكتبة العامة.

خامسا ـ مرشد القراء The Readers' Advisor

تعليم الفرد لنفسه خلال مطالعات يتولى توجيهها مكتبى مختص هو أول وأهم دور يمكن أن تقوم به المكتبة العامة فى سبيل تعليم الكبار.

قد تعتذر المكتبات بقلة عدد الموظفين بها، وبعدم وجود الإخصائيين للقيام بهذه العمليات التعليمية. وبذلك نرى أن نسبة من يتلقون هذا النوع من الإرشاد والتوجيه إما معدومة أو ضئيلة جداً حين نقارنها بالاحتمالات الممكنة لخدمة أعداد كبيرة من القراء.

بعض المكتبات تقول بأن من الصعب أن تعلن عن مثل هذه الخدمة لو أنها نظمتها لأن هذا سوف يخلق نوعا من الإقبال لاقبَلَ لموارد المكتبة ولوقت موظفيها بالاستجابة له وإرضائه. فإن مجرد الإعلان عن وجود هذا النوع من الخدمة المكتبية (أى إرشاد القراء) كفيل باجتذاب أعداد كبيرة من القراء إلى مكتب مرشد القراء.

ولكن رغم قلة الإخصائيين من مرشدى القراء، وقلة عدد القراء الذين يسمح وقت هؤلاء الإخصائيين بإرشادهم، يمكننا أن نقول إن المعايير هنا (كما هو الحال فى كل مجهود تعليمى) يجب أن تكون معايير نوعية وليست معايير عددية أى أنها معايير تعتمد على الكيف وليس على الكم. فالصلة بين القارىء وبين قسم الاستعارة بالمكتبة صلة عددية ولكن الصلة بينه وبين مرشد القراء صلة نوعية.

صلة القارىء بمرشد القراء أشبه ماتكون بصلة المريض بالطبيب. بينما صلة القارىء بقسم الاستعارة أقرب ماتكون إلى صلة المريض بمخزن الأدوية. الطبيب يفحص المريض، ومرشد القراء يختبر القارىء ويحدد له بالضبط مايرضى احتياجاته وفق مقدرة عقله على الهضم والاستيعاب. هذا بينما قسم الاستعارة يمده بما يطلب بدون مناقشة. أما قسم المراجع فهو قسم الإسعافات الأولية السريعة وليس العلاج الطويل ـ يأتى القارىء إلى قسم المراجع فى حالات الطوارىء للحصول على إجابة سريعة عن سؤال محير.

وعلى ذلك فليس المفروض فى مكتب إرشاد القراء هو زيادة عدد من يرشدهم فى كل يوم ولكن المفروض هو أداء هذه الخدمات على أكمل وجه يحقق لهم أغراضهم التعليمية.

وقد يرمى البعض فكرة «إرشاد القراء» خلال مكتب خاص أو خدمة خاصة أو خبير خاص بأنها مجرد إجراء كمالى من جانب المكتبة لاتقدر عليه إلا المكتبات العامة الكبيرة. ولكن هذا ظن خاطئ. وذلك لأن إرشاد القراء (بمعناه الاصطلاحى هنا) ليس جناحا أو فرعاً جديداً نضيفه إلى

المكتبة وإنما هو إعادة لتوزيع الاختصاصات والجهود والوسائل التى تملكها المكتبة فعلا ـ هذه الخدمة من صميم عمل العدد الأكبر من أمناء المكتبة المتصلين بالقراء الكبار (أى المكتملى النمو أو الناضجين أو البالغين سمهم ماشئت Adults). وليست فقط من اختصاص فرد أو أفراد يعينون خصيصاً لهذا العمل. أى أن المطلوب ليس تعيين فرد جديد فى كل مكتبة أو إنشاء قسم جديد وإنما إعادة تنظيم واجبات وجهود هيئة المكتبة.

يمكن إسناد أعمال إرشاد القراء فى المكتبة المتوسطة الحجم أو الصغيرة إلى أمين المكتبة أو إلى أمين إحدى قاعات المطالعة الرئيسية بها مع توجيه جهوده نحو جعل كتب المكتبة ذات جدوى فى تعليم الفرد لنفسه.

وأول شروط نجاح مثل هذا النوع من العمل ليس كثرة الموظفين، ولا وفرة المال، ولا طول الوقت ـ ولا أى مورد مادى آخر. ولكن الاقتناع بأن المكتبة يجب أن تكون ويمكن أن تكون أهم مؤسسة فى المجتمع تخدم رغبة الفرد فى التعلم (وخاصة الكبار).

اهتمام القراء بالالتجاء إلى مرشد القراء رهين إلى حد بعيد بمعرفتهم بأن المكتبة تقدم هذا النوع من الخدمة ـ أى رهين بمقدار إعلان المكتبة عن خدماتها فى سبيل إرشاد القارىء أو معاونته على تعليم نفسه بنفسه. وإن بعض المكتبات سواء فى المدن الصغيرة أو الكبيرة وجدت أن عليها أن تقلل من دعوتها المكتبية بعد وقت قصير وذلك لعدم تمكنها من مواجهة الإقبال الذى يثيره الإعلان عند بداية تعريف الجماهير بهذه الخدمة التعليمية الخاصة وهى القراءة الموجهة Guided reading.

(أ) تنظيم خدمة «ارشاد القراء»

كيف يبدأ تنظيم خدمة إرشاد القراء؟ من الأفضل عدم التسرع بل لابد من الإعداد الهادىء البطئ المركز. بعض المكتبات تقضى شهوراً طويلة فى جمع المراجع الأساسية والمطبوعات التى تلزم مرشد القراء، وإعداد قوائم مطالعات موضوعية فى مواد بالذات (reading courses) وقد تعالج أكثر من قائمة نفس الموضوع أو نفس المادة ولكن فى مستويات متفاوتة تقابل أنواعا أو فئات من قراء تلك المادة فى المستقبل. وهكذا تعد العدة لكل التفاصيل قبل افتتاح الخدمة. لأن الإعلان عنها يجتذب عادة الكثيرين فى البداية، وإن رضى أوائل الوافدين إلى مكتب الإرشاد فى بدء إنشائه كفيل بتوفير مجهودات الإعلان فى المستقبل ـ لأن كل قارىء سوف يصبح أداة للدعوة المكتبية من تلقاء نفسه.

وقد يقول قائل بأن من المتعذر أن تتنبأ المكتبة باحتياجات قرائها الحاليين وقرائها فى المستقبل. كيف يمكن إعداد قوائم المطالعات التى يستعين بها مرشد القراء فى عمله بحيث تغطى كل الرغبات التعليمية لكل من يفد إلى مكتبه؟ بل يمكن أن نسأل: أى أنواع الدراسة تدخل فى تكوين وإعداد وتخصص مرشد القراء نفسه؟ مانوع الأسئلة التى ينتظر أن توجه إليه وأن يجيب عنها؟ ماهى أنواع المطالعات التى يطلبها القراء عادة؟

هنا تستعين المكتبة بإحصائياتها السابقة عن ميول القراء، وبإحصائيات المكتبات الأخرى التى تشابهها من حيث الحجم والنوع. فنجد أن الدافع السائد بالنسبة للقارىء العام هو رغبة الفرد فى إصلاح نفسه. الكبار

الذين يتوجهون إلى المكتبة العامة لكى يقرأوا بقصد التعلم، لكى يحصلوا من قراءاتهم على نتائج أقرب إلى التحصيل والكسب المنظم للمعرفة ـ هؤلاء الكبار إنما يسعون لاستكمال نواح يستشعرون النقص فيها. هذه هى الغالبية العظمى من الكبار حين يقصدون إلى المكتبة العامة.

لذلك نجد أن معظم القراءات فى مجال إرشاد القراء تقع فى مجال علم النفس أو تحسين المستوى اللغوى للفرد أو الإلمام بما يلم به الرجل المثقف فى التاريخ أو الأدب أو الفنون الجميلة. ثم يأتى بعد ذلك السلوك الاجتماعى وتكوين الشخصية، والمظهر العام للفرد. ثم يتلو ذلك عدد كبير من الكتب يدور حول الهوايات وخاصة الألعاب الرياضية، وطرق قضاء وقت الفراغ. تتبع هذا كله دوافع الطموح المهنى مع ما ينبنى عليه من دراسات تتعلق بالعمل الحالى للفرد، أو عمل آخر يصبو إلى تعلمه وإتقانه. كما نجد أيضاً كتباً كثيرة تطلبها ربات المنازل فيما يتعلق بتربية الطفل والأعمال المنزلية والأشغال اليدوية وما إلى ذلك.

هذا يدلنا على أن قراءة الفرد قراءة موجهة فى المكتبة، وأسئلته التى يوجهها إلى مرشد القراء تقع معظمها فى محيط الحياة اليومية ولذلك يبدأ تنظيم خدمة إرشاد القراء حول مطالعات الثقافة العامة التى يطلبها العدد الأكبر من القراء.

أسئلة القراء التى تقع فى مجالات متخصصة أو فى مجالات البحث قليلة. وعلى ذلك فحين يحضر قارىء إلى المكتبة فيسأل أسئلة ذات مستوى متخصص ويريد أن يعرف ما يصلح من المطبوعات لهذا المستوى الذى قد تكون معلومات مرشد القراء عنه محدودة ـ حينئذ يعمد مرشد

القراء إلى استشارة بعض إخصائيى المادة ويكونون عادة من رجال التعليم كل فى محيط تخصصه. إذن فمرشد القراء فى حاجة إلى صلات دائمة بالإخصائيين فى محيطه المحلى: وإنه لأفضل له حين يطلب مشورتهم أن يضع أمامهم ما تحويه مكتبته من كتب فى هذا الموضوع المتخصص سواء أكان ذلك عن طريق قوائم أم عن طريق زيارتهم للمكتبة.

فهذا خير من أن يترك للإخصائيين اقتراح الكتب سواء وجدت فى المكتبة أم لم توجد. أو اقتراحها بدون إدراك من جانب المتخصص (حين يتحدث عن مادته) للمستويات الفعلية للقراء، فيوجههم إلى كتب تكون عادة أعلى من مستواهم.

ومع نذلك فعلى مرشد القراءة كلما صادف فجوة أو نقصاً فى معلوماته أن يتداركها بقراءة منظمة من جانبه ـ أن يعلم نفسه بطريقة لاتختلف كثيراً عن الدراسات التى ينظمها المبتدئين فى أى مادة ممن يسترشدون به يومياً.

ولذلك يجب أن يشتمل منهج مرشد القراء على بضع ساعات يقضيها يوميا فى القراءة، ولا تقتصر هذه القراءة على التعرف على الكتب الجديدة فى مجموعات المكتبة، ولكنها تشمل تنظيم دراسة مطولة جامعة لفروع المعرفة التى لم يكن له إلمام بها من قبل حتى يتيسر له إدراك مقبول لمادتها بدلا من أن يقتصر على معرفة أسماء كتبها فحسب. عليه أن يقرأ أجزاء من المطبوعات الجديدة عليه (إن لم يكن كلها) وذلك حتى يتحدد بالضبط فى ذهنه نوع القارىء الذى يصلح له كل مطبوع. أى أن مرشد القراء حين يقترح كتباً لم يقرأها أو لم يتعرف عليها بشكل كاف، فلا نظن أنه سوف ينجح فى مناقشتها مع القارىء.

الطالب لايقرأ لمعلم توقف هو نفسه عن القراءة. فالإطلاع والدراسة والبحث جزء لا يتجزأ من حياة المعلم وإلا وجد نفسه وقد جف عوده وضاق أفقه. وهذا القول قد يكون أكثر انطباقا على مرشد القراء منه على المدرس: (١) لأن مرشد القراء لابد له من معالجة موضوعات كثيرة فى مجالات من المعرفة كثيرة، بينما المدرس يتناول عدداً محدوداً من الموضوعات يكرره خلال أعوام متعاقبة (٢) ولأن صلة المعلم بالمتعلم فى المدرسة مكفولة خلال عام دراسى كامل، بينما نفس الصلة فى المكتبة اختيارية ومتروكة لتقدير القارىء هل يستمر فى استرشاده بمرشد القراء أم يضرب عن هذه الصلة صفحا حين يراها غير مجدية.

ولنعد الآن إلى عملية إعداد القوائم قبل الإعلان عن خدمة إرشاد القراء. هذه القوائم التى تعالج موضوعات بالذات فى مستوى قراء بالذات لاتكون مفرطة فى الطول بل تحتوى عادة على حوالى من ستة إلى عشرة كتب لكل مستوى. لأن القارىء حين يعطى هذا العدد من الكتب فى موضوع من الموضوعات فيقرؤه ـ تكون قد نشأت لديه فى معظم الأحيان (نتيجة لتردده المتتالى على المكتبة) الرغبة فى قراءة موضوع جديد.

وأنه لأفضل لمرشد القراء بدلا من أن «يفترض» مستويات للقراء، أن يتذكر ويستعرض ويسترجع أنواعا وفئات من القراء صادفها فعلا أثناء العمل بالمكتبة إذن يكون اختياره لكتب قوائمه مبنياً على الواقع وليس مجرد الافتراض. وهذا يبين ضرورة اختيار مرشد القراء من بين موظفى المكتبة الأكثر ثقافة من جهة. والأكثر دراية بجمهور المكتبة من جهة أخرى.

وقوائم المطالعات حين تعد لاتكون نهائية بأى حال من الأحوال بل قابلة للتعديل وفق مايستشفه مرشد القراء فيما بعد حين يستمع إلى رأى «الكبار» المسترشدين به فى كتب قرأوها بعد أن اقترحها هو عليهم فى مقابلة سابقة. قد يكون نقدهم متواضعاً، وألفاظهم غير دقيقة. ومع ذلك فالقارىء هو الحكم الأول على صلاحية الكتاب لمستواه أو عدم صلاحيته. هذه عملية تعليمية للجانبين فالقارىء يتعلم كيف ينقد وكيف يقيم كتابا قرأه، ومرشد القراء يتعلم كيف أفلح أو فشل فيما اقترحه لهذا القارىء.

القارىء الأكثر ذكاء يمكنه أن يتناول قوائم مرشد القراء من تلقاء نفسه ويتابع مافيها من كتب مقترحة ولو لم يلجأ إلى مرشد القراء فى مقابلة شخصية فى معظم الأحيان. ولذلك يستحسن أن تكون موضحة بشروح تبين رأى مرشد القراء فى كل كتاب فهذا يوفر له بعض وقته فيما بعد، وخاصة إذا وزعت هذه القوائم بكثرة بحيث تصل إلى قراء آخرين خارج المكتبة شأنها فى ذلك شأن أى قوائم أخرى تطبعها المكتبة وتوزعها.

ولكن ماوسيلة مرشد القراء لتجميع قوائمه أو تعديلها؟

يستخدم لذلك ما نسميه بفهرس التذكرة أو قائمة التذكرة. فكلما قرأ أو اختبر كتاباً وخرج بتقييم أو نقد أو تقدير لمستوى الكتاب أو لأسلوبه من حيث السهولة أو الصعوبة، أو من حيث مستوى القارىء الذى يصلح له الكتاب، ومن حيث محتويات الكتاب ونواحى القوة أو الضعف فيه، فإنه يسجل هذا كله على بطاقة. ومن مجموع هذه البطاقات تتكون

قائمة التذكرة (Reminder List (on cards ـ وهذه يمكنه أن يرجع إليها كلما أراد أن يتذكر رأيه فى كتاب سبق أن اطلع عليه، وكلما أراد تغيير رأيه فى كتاب، وكلما أراد تجميع قائمة صغيرة تفى باحتياجات قارىء جديد، وهذه الأخيرة هى مانسميه بالـ reading prescription (روشتة قراءة).

وقائمة التذكرة هى المصدر الأول لتجميع أى قوائم أخرى يعدها مرشد القراء لصالح القراء فى مكتبته.

الأداة التالية لمرشد القراء هى سجل القراء أنفسهم. ففى بطاقة باسم القارىء يبين المرشد اسمه وعنوانه وسنه وصناعته ومستواه الدراسى، وميوله، والموضوع الذى يدرسه فعلا... إلخ وهذه البيانات الشخصية عن القارىء يستقيها مرشد القراء من القارىء نفسه. وبعد ذلك حين يسجل مرشد القراء مقدار انتفاع هذا القارىء بكتاب أو كتب اقترحت عليه فهو إنما يسجل أسماء هذه الكتب على بطاقة أخرى تحمل اسم نفس القارىء. ويستحسن أن تكون من لون آخر وتوضع خلف بطاقة القارىء التى تحمل البيانات الشخصية عنه.

ومن الأفضل عدم استعمال بطاقات مطبوعة لتسجيل البيانات الشخصية عن كل قارىء لأن البطاقات المطبوعة لاتستوعب الفروق الفردية بين الأشخاص. وأيا كان تصميمها وتصميم طريقة ترتيب مواضع البيانات المختلفة بها فإننا يجب أن نضمن وجود مكان كاف بها تبين فيه تفصيلا المميزات الخاصة لكل منهم.

(ب) اجراءات عملية الارشاد

أين يوضع مكتب مرشد القراء فى المكتبة؟

يجب أن نتحاشى وضعه داخل حجرة خاصة مقفلة. بل بالعكس يجب أن يكون قريباً من القراء وبقدر الإمكان لاتحيطه الرسميات أو الشكليات بأى حال من الأحوال ـ حتى يمكن للشخص الخجول أن يجد سبيله إليه ببساطة.

ومع ذلك فإن الموظف المختص بالاستعلامات القصيرة والسريعة فى قسم المراجع، وغيره من موظفى قاعات المطالعة وقسم الاستعارة يمكنهم أن يرسلوا إلى مرشد القراء كل قارىء يجدون أن سؤاله ليس مجرد سؤال عابر وأن مساعدته ليست مجرد توجيه لدائرة معارف أو قاموس أو فهرس أو أى مرجع عام آخر، وإنما يحتاج إلى مناقشة قراءاته واحتياجاته ودراساته بشئ من التفصيل.

وفى المكتبات الصغيرة يوضح مكتب مرشد القراء فى وسط صالة الاستعارة، أو فى جانب من قاعة المطالعة الأساسية بالمكتبة. وإن كان من الأفضل تحاشى هذا الوضع الأخير لأن الحديث بين مرشد القراء وأحد رواد المكتبة قد يعطل مطالعات القراء الآخرين، كما أن مناقشة أحد المسترشدين على مرأى ومسمع من القراء الآخرين قد لا يتوفر لها الجو المناسب للصلة الفردية الشخصية بين مرشد القراء وبينه. خاصة وأن الكبار (كما سبق أن ذكرنا) حين يتجهون نحو التعلم فإنما يفعلون ذلك عادة لاستكمال نقص يستشعرونه فى معلوماتهم فى موضوع ما. إذن يجب على المكتبة أن تحسب حساب كل عوامل الخجل والتردد التى يمكن أن تحيط بالكبار حين يعبرون عن احتياجاتهم التعليمية واحتياجاتهم للقراءة الموجهة.

توجه القارىء إلى المكتبة، واستقبال مرشد القراء لمن يرغب فى التوجيه، ثم النصح للقارىء بأن يقرأ كتباً بالذات ليس هو كل ما تشتمل عليه خدمة إرشاد القراء. وذلك لأن المقابلة بين المرشد والقارىء لها عناصرها التى توجهها نحو غاياتها التعليمية بحيث لا تخطئ الأثر الذى نستهدفه من ورائها. وهذه العناصر هى:

١ ـ تفهم القارىء الجديد. مستواه التعليمى. ميوله. صلة هذه الميول بعمله أو بهواياته أو بطموحه الدراسى... إلخ.

٢ ـ تقدير مستوى الكتاب المقترح بالنسبة للقارىء المسترشد: سهولة ـ صعوبة ـ تخصص ـ تبسيط ـ تفصيل ـ إيجاز ـ تشويق... إلخ.

٣ ـ إدراك الدوافع الاجتماعية والسيكولوجية التى تقوم عليها رغبة الكبار فى التعلم خلال جهودهم الفردية التلقائية.

٤ ـ معرفة وسائل مناقشة القارىء وتسجيل نتائج تقدمه بدون إحراجه.

٥ ـ إعداد البرنامج الدراسى للفرد أو لفئة من الأفراد سواء خلال قوائم المطالعات الموجهة أو خلال القوائم الفردية .

من الخير عند مقابلة مرشد القراء لمن يقصدون إليه أن يتركهم يتحدثون عن أنفسهم واحتياجاتهم بدون أن يجعل المقابلة تبدو بشكل استجواب أو «محضر». وثم نصيحة عملية هامة وهى عدم تسجيل أقوالهم أثناء كلامهم لأن هذا (وخاصة فى حالة الكبار) يدعو إلى كثير من الارتباك فى نفسيتهم وفى أقوالهم.

ولمعرفة مقدار نجاح القارىء فى مسايرة المنهج الذى يرسمه له مرشد القراء ومقدار انتقاعه بمطالعاته يطلب إليه مرشد القراء الرجوع إليه بالمكتبة لرد الكتاب المقروء وأخذ كتاب آخر عند الفراغ منه... وبسؤال القارىء عن مقدار ارتياحه أو عدم ارتياحه للكتاب الذى قرأه يمكن للمرشد أن يقرر مقدار نجاحه فى إرشاد قرائه كل على حدة. هذه العملية تشبه إلى حد بعيد استماع الطبيب إلى أثر دواء اقترحه على المريض. ولكن على مرشد القراء ألا يتابع أى حالة بشكل يوحى بأنه يفرض نفسه أو يعتد بمقترحاته، أو يؤذيه ألا يستمر القارىء فى قراءاته. عليه أن يراعى ألا يدفع نفسه دائماً إلى مقدمة الموقف.

تحديد ساعات عمل مرشد القراء يعطى شيئاً من الأهمية لعمله (من وجهة نظر القراء) أى إذا أفهمنا القراء أن مرشد القراء موجود تحت تصرفهم فى الساعات من كذا إلى كذا فى أيام كذا وكذا ـ فإن هذا أجدى من جعله ينتظرهم فى كل يوم وكل لحظة. ولذا تختار المكتبات المواعيد المناسبة لأكبر عدد من القراء أو فئات القراء. مثلا ثلاث ساعات فى ثلاث أمسيات، وثلاث ساعات بعد الظهر فى يومين آخرين من أيام الأسبوع، وبذلك نوفق بين ساعات فراغ أكبر عدد ممكن من رواد المكتبة، وعلينا أن نراعى وجود مرشد القراء فى أيام العطلات الأسبوعية كأيام الجمعة والأحد.

أما عن انقطاع القراء عن التردد على مرشد القراء قبل إنهاء برامجهم فإن نسبة هذا الانقطاع ضئيلة جداً. فهذه وسيلة أنجح بكثير من غيرها من وسائل تعليم الكبار. وقد كشفت إحدى الإحصائيات أن نسبة من ينقطعون عن إكمال الدراسات فى برامج الدراسة

بالمراسلة هى ٩٠٪ أما فى المكتبات فإن نسبة الانقطاع عن الدراسة خلال برامج القراءة الموجهة كانت محصورة بين ٥٪ و ٢٥٪.

سادسا ـ المحاضرات والمناظرات وحلقات البحث

المحاضرات والمناظرات والمناقشة بمختلف أنواعها ودرجاتها مجهودات ثقافية لاشك فى قيمتها ولكن حين نقرنها بالمكتبة يبدأ نوع من الجدل فبينما يسلم الجميع بقيمة إرشاد القراء وقيمة الدور الذى يلعبه مرشد القراء فى جعل مجموعات المكتبة أداة تعليمية بعيدة الأثر ـ نجد أنهم يتساءلون هل من طبيعة عمل المكتبة أن تقدم ندوات أو محاضرات أو مناظرات أو غيرها من الوسائل أو البرامج الإلقائية؟ هل هذه الوسائل التعليمية تنعكس بصفة مباشرة على وظيفة المكتبة الأساسية وهى تقديم مواد القراءة لأفراد المجتمع الذى تقوم فيه. الوسائل الإلقائية وسائل صالحة جداً لتعليم الكبار ولكن تعليم الكبار ليس هو الوظيفة الوحيدة للمكتبة.

* والاعتراضات التى تساق فى هذا الصدد هى

١ ـ الرغبة فى قصر عمل المكتبة على أغراضها الأساسية من إمداد القراء بالمطبوعات وعلى ذلك فتنظيم محاضرات أو مناظرات يستغرق وقتاً وجهداً يمكن أن يبذلهما المكتبى فى تنظيم محتويات مكتبته أو فى مساعدة قارىء حضر فعلا ليقرأ لا ليستمع على أمل أن تجذبه المحاضرة نحو القراءة.

٢ ـ والاعتراض الثانى يذهب إلى أن نسبة ضئيلة من مجموع أفراد البيئة المحيطة بالمكتبة هم الذين سوف تتاح لهم الفرصة للاستماع إلى هذه المحاضرات التى قد لا تتفق أوقاتها مع أوقات فراغ أعداد كبيرة منهم،

كما أن النتائج التعليمية لهذا النوع من النشاط المكتبى لايتيسر قياسها حتى نعترف بأثرها الإيجابى إن وجد.

٣ ـ إنشاء قاعات للمحاضرات يستنزف مالا كان من الممكن أن يخصص لشراء الكتب. وإن مجموعات الكتب هى أثبت ما تملكه المكتبه إذ ليست مهمة المكتبة قاصرة على أن يقرأ مابها فحسب وإنما مهمتها تمتد إلى حفظ التراث للمستقبل فكلما زادت مشاكل الاختيار من مجموع مايصدر باستمرار من كتب ومطبوعات، زاد إلحاح الحاجة بالمكتبة إلى المال لكى تكمل مجموعاتها وتملأ فجوات لاينقطع شعورها بها أبداً. إذن فالكتب أفضل من قاعات المحاضرات فى المكتبات.

٤ ـ الاعتراض الرابع يذهب إلى نقطه أدق من هذه جميعاً....نقطة تتعلق بكيان المكتبة أو فلسفة المكتبة فى أذهان الجماهير. المكتبة تمتاز بما تتمتع به من حرية الرأى ومن عدم تعرضها للنقد أو للرقابة. تفاخر بما تسميه الحياد الفكرى. والمعروف أن المكتبه حريصة على هذه الحصانة وهذا الحياد. تريد أن تقف موقفاً غير متحيز لجانب من جوانب الأفكار الجدلية، وتحاول أن تقتنى كل كتاب ذى قيمة علمية أيا كانت وجهة النظر السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية... إلخ التى يمثلها ـ وذلك لأنها تحفظ التراث للمستقبل حين يزول انحياز الأفراد أو تحمسهم لجوانب الأفكار الشائكة أو الجدلية.

فإن ضمنت المكتبة هذا الحياد فى مجموعاتها فقد لا تضمنه فى مناقشاتها أو محاضراتها أو ندواتها. فإن حدث أن أثير النقاد مرة فليس من السهل إيقافهم عن التعرض لمجموعات المكتبة، ومن ثم لحياد المكتبة، أى

أننا قد لانتمكن من أن نعيد للمكتبة نفس الاعتبار فى أذهان الجماهير بعد أن جعلنا هذا الاعتبار موضعاً للتجريح أو حتى لمجرد التعريض.

ولكن ماذا يقول الجانب الآخر من أنصار هذه البرامج الإلقائية؟

١ ـ المحاضرات والمناظرات تكسب عدداً كبيراً من الأصدقاء لجانب المكتبة وخاصة بين من يهتمون بالتيارات العامة للحياة الفكرية. هذا بينما كان من الممكن أن يظلوا بمعزل عن المكتبة لو لم تمد يدها تدعوهم وترحب بهم. فإن بعض الأشخاص قد لايميلون بطبيعتهم إلى القراءة ولكن يمكنهم أن يستمتعوا بما يسمعونه، أى أن الاستماع هو سبيلهم إلى المعرفة، هو السبيل إلى استثارة ميولهم واجتذابهم إلى المكتبة. هو السبيل إلى فتح آفاق جديدة أمامهم يمكنهم أن يتابعوها فيما بعد إن أرادوا عن طريق القراءة. أى أن المحاضرة تقدم الفرد إلى الموضوع، ثم تحمله معارض الكتب أو قوائم المطالعات فى داخل المكتبة إلى متابعة هذه الموضوعات.

٢ ـ حين تضطلع المكتبة بأعباء تعليمية فليس هناك مايبرر أن تقتطع لنفسها جزءاً بالذات من العملية التعليمية وهو القراءة بحيث تحرم العمليات التعليمية الأخرى مثل الاستماع أو الإلقاء، لأن الإلقاء فى حد ذاته يمكن أن يكون تدريباً على مهارات خاصة (كما أنه نتيجة لهذه المهارات). أى أن المكتبة حين تبدأ فى تنظيم محاضرات يمكنها أن تحشد المواهب المحلية فى جانبها ـ ويمكنها أن تكشف عن مواهب جديدة بين الحضور ممن يشتركون فى المناقشات. كما أنها تعطى كلا منهم الفرصة ليعبر عن نفسه. ويحقق كيانه ويشبع ميوله. وهؤلاء الموهوبون الذين

تكتشفهم المكتبة لم تكن لتتاح الفرصة لكى تعرفهم لو لم يحضروا للاستماع ولو لم يشتركوا فى المناقشة ولو لم يستجيبوا لمحاضرات الآخرين.

٣ ـ سلسلة المحاضرات أو المناظرات أو الندوات فى المكتبة لو اشترك فيها بعض البارزين أو المعروفين محلياً لأمكن استغلال هذه الأسماء المعروفة لربط المكتبة فى أذهان الجماهير بشخصيات تحترمها وتتأثر بها. هذا يساعد الجمهور على أن يعرف بالضبط أين يضع المكتبة داخل إطار المجتمع. وعلى ذلك فالمحاضرات إن لم تستخدم كوسيلة مباشرة من وسائل تعليم الكبار داخل المكتبة فنحن سوف نضطر لاستخدامها كوسيلة من وسائل الدعوة المكتبية الناجحة.

(ولكن علينا أن نفرق هنا بين تعليم الكبار داخل المكتبة وبين مجرد دعوة هؤلاء الكبار بقصد كسبهم كرواد المكتبة. وسوف نناقش وسائل الدعوة بالتفصيل فى الفصل التالى من هذا الكتاب: «العلاقات العامة للمكتبة العامة»).

ولننتقل الآن إلى حلقات الدراسة والبحث.

هذه لاينطبق عليها شىء من الاعتراض الذى أثير حول المحاضرات والمناظرات لأن حلقة البحث عبارة عن مجموعة من القراء تنظم المكتبة لهم موضوعا يبحثونه فيما بينهم، وتيسر لهم معرفة مصادرة، كما تيسر لهم الحصول على هذه المصادر، فيوزعون قراءتها فيما بينهم ومن يقرأ مصدراً يتحدث إلى زملائه عنه.

جماعات المناقشة هذه (أو حلقات البحث) وسيلة من وسائل تعليم الكبار خارج المكتبة أيضاً، وهى وسيلة من وسائل تنظيم العمل فى المؤتمرات، ووسيلة للإعداد المهنى للمشتغلين بمهنة ما متخصصة حين ينظمون مثل هذه الحلقات فيما بينهم. قد تختلف تسميتها فى كل حالة ولكنها تعنى نشاطاً متشابهاً إلى حد بعيد. فقد تسمى:

discussion, groups, seminars, institutes, workshops, panel discussions, study groups... etc.

ومع اختلاف التسميات توجد ظلال من الاختلاف فى تنظيمها وفى طرق إدارتها وطرق انعقادها وتسجيل نتائجها ـ وليس هنا مجال تفصيل هذا كله فهو أدق من أن نتوسع فيه.

هذه الجماعات حين تنظمها المكتبة تتناول كل منها موضوعا واحداً خلال فترة تتعدد فيها اجتماعاتها وتناقش جوانب هذا الموضوع وتصل من مناقشاتها إلى نتائج قد تكون صالحة للنشر فى بعض الأحيان.

حلقات البحث إن سمحنا للجمهور بحضور اجتماعاتها التى سبقتها قراءات قد تكون مفصلة يمكن أن تفيد منها ثلاث فئات:

١ ـ أعضاء الحلقة أنفسهم: لأنهم يقرأون ويلخصون ويبحثون وأحياناً يوزع كل منهم على الآخرين ملخصات بما ينوى أن يتحدث عنه فى الجلسة التى يستمعون فيها إليه. وتتجمع فى النهاية عند كل منهم من هذه الملخصات ومن أسماء الكتب ومن الآراء والتعليقات المتصلة بموضوع الحلقة حصيلة قيمة.

٢ ـ جمهور المستمعين: حين نسمح بأن تتم المناقشات أمامهم، وخاصة إذا وزعت عليهم بعض الملخصات أو البيبليوجرافيات أو قوائم المطالعة أو إذا سمح لهم بمناقشة أعضاء الحلقة فى نهاية كل اجتماع.

٣ ـ قد يسمح لغير أعضاء الحلقة بحضور اجتماعاتها، ومع ذلك يمكن أن تفيد بقية جمهور المكتبة من جهودها إن أتحنا لهذا الجمهور أن يقرأ ما وصل إليه أعضاؤها نتيجة لدراساتهم، سواء كان ذلك على شكل محاضر الجلسات أو ملخصات للكتب التى قرأت أو نحو ذلك. أى أن النص المكتوب الذى أنتجته حلقة البحث يمكن أن يستمر أثره إلى ما لا نهاية.

***

وهناك أساليب أخرى لتعليم الكبار فى المكتبة دخل فيها حديثاً بشكل أكبر من ذى قبل معظم الوسائل السمعية والبصرية. فنجد أكثرها استعمالا وأيسرها استيعابا أفلام السينما حين تعرضها المكتبة فى قاعتها الخاصة بالعرض أو الاستماع. وقد تقام فى المكتبة حفلات استماع موسيقية سواء كان الاستماع لقطع مسجلة وهذا هو الأكثر حدوثاً، أو تلعب بعض الفرق الموسيقية فى داخل المكتبة. كما نجد ضمن هذه الوسائل الفانوس السحرى بمصاحبة المحاضرات.. إلخ إلخ.

ولكن همنا فى هذا المجال هو كل ماله صلة مباشرة بالقراءة ومن ثم بالمعنى الأول لتعليم الكبار بالمكتبة. أما أنواع النشاط التى قد تؤدى وقد لاتؤدى إلى كسب قارىء جديد فهذه نفضل أن نتبعها لحديثنا عن أساليب الدعوة المكتبية فى سياق الفصل التالى.